جامعة مولاي إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

شعبة الدراسات الاسلامية

مجزوءة : مدخل لدراسة العلوم الإنسانية

محاضرات في
مدخل لدراسة العلوم الإنسانية
الفصل الثاني - الأفواج 3 ـ 4

الجزء الأول

الموسم الجامعي

2019 . 2020م

مجزوءة: مدخل لدراسة العلوم الإنسانية ــ ذ محمد العمراوي

الجزء الأول

مدخل تمهيدي:

1) مفهوم العلوم الإنسانية:

أ- مفهوم العلم وحقيقته:

ـ العلم في اللغة نقيض الجهل، ويدل على عدة معان منها؛ الفهم، والمعرفة، والإدراك، واليقين، والظن، والدلالة...

ـ حقيقة العلم في الثقافة الغربية:

مفهوم العلم عند الغرب مفهوم حادث؛ لم يظهر إلا في الثلث الأول من القرن 19م، مع ظهور التخصص الدقيق في العلوم الطبيعية والفيزيائية.

وكان مصطلح العلم في البداية يتسم بنوع من الغموض والتعقيد؛ لما كان يتميز به من الشمول قبل ظهور التخصص الدقيق. ولذلك كان من الصعب وضع تعريف دقيق له، حتى قالوا: لا حد للعلم ولا مفهوم له. وهذا ما صرح به الباحث في علم الفيزياء **رتشارد فريد** حين قال: " اشتغلت بالعلم طوال حياتي عارفا تماما ما هو، لكن الإجابة عن السؤال: ما هو العلم؟ هذا هو الأمر الذي أشعر أني عاجز عنه"

حقيقة العلم في الثقافة العربية الإسلامية:

مفهوم العلم مفهوم عريق في الثقافة العربية الإسلامية. ولذلك لم يجد علماء الإسلام صعوبة كبيرة في صياغة مفهومه. فقد عرفه الجويني (ت478هـ) بقوله: "العلم معرفة المعلوم، أي إدراك ما من شأنه أن يعلم على ماهو به في الواقع، كإدراك الإنسان بأنه حيوان ناطق"، وهو عنده هنا مقابل للجهل، إذ الجهل عنده "هو تصور الشيء على خلاف ما هو"

ب- مفهوم الإنسان وحقيقته:

مفهوم الإنسان وحقيقته في التصور الغربي:

يختلف مدلول الإنسان بين الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين أو المعاصرين. فقد ركز أفلاطون وأرسطو من المتقدمين في تعريف الإنسان على ما يتميز به من القوة العقلية، فقالوا: الإنسان كائن حي ناطق أي عاقل.

وذهب نيتشه ممثل الفلسفة المعاصرة إلى التقليل من قيمة العقل والأخلاق. وحاول استبعاد البعد العقلي كعنصر يميز الإنسان عن غيره، واعتبره مجرد غرائز أو قوى لا شعورية مثلها مثل باقي الغرائز، فيكون الإنسان عنده مجرد كائن يتمتع بمجموعة من الغرائز. وقد أيدته نظرية داروين التي تقول بأن أصل الإنسان حيوان. وعجز الفيلسوف ألكسيس كاريل عن تعريف الإنسان، وكانت خلاصة ما انتهى إليه هي " الإنسان ذلك المجهول".

مفهوم الإنسان وحقيقته في التصور الإسلامي:

الإنسان كائن بشري خلقه الله من تراب، وجمع فيه بين طبيعة مادية وأخرى روحية، وميزه سبحانه بالعقل وأناط به مهمة التكليف والاستخلاف وعمارة الأرض بالخير والعدل، وبناء على هذا يكون الثواب والعقاب.

ج- مفهوم العلوم الإنسانية:

يدل مصطلح العلوم الإنسانية على مختلف العلوم التي تعنى بدراسة النشاط الإنساني بصفة عامة (النفسي والعقلي والحركي..). ويمكن القول أيضا إن العلوم الإنسانية نقيض العلوم الطبيعية أو التطبيقية القابلة للاختبار والقياس والتجريب.

وتشمل العلوم الإنسانية كثرا من التخصصات أو العلوم الجزئية؛ كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التاريخ، وعلم الاقتصاد، والسياسة، والفنون، والآداب، والفلسفة، والأنتروبولوجيا.

د- الفرق بين العلوم الاجتماعية والإنسانية باختصار:

- العلوم الاجتماعية؛ علوم تهتم بالمجتمع والعلاقة بين أفراده، فهي تهتم بدراسة تفاعل الإنسان داخل الجماعة التي يعيش فيها وينتمي إليها.. أما العلوم الإنسانية فهي تختص بدراسة الإنسان في مختلف الجوانب؛ أصله، وثقافته، ونشاطه، وسلوكه، وتفكيره... بغض النظر عن المجتمع الذي يعيش فيه أو ينتمي إليه.

المحور الأول: تاريخ علم الاجتماع: النشأة والتطور.

يمكن التمييز في تحديد بداية نشأة علم الاجتماع بين تيارين اثنين؛ تيار غربي وآخر عربي إسلامي.

التيار الغربي:

يرى كثير من المفكرين الغربيين ومقلدتهم من العرب أن نشأة علم الاجتماع ترجع إلى الربع الأول من القرن 19م في أوربا على يد عالم الاجتماع الفرنسي أكوست كونت. وارتبطت نشأته بمجموعة من التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية؛ نتيجة ما يلي:

ـ فلسفة الأنوار التي ظهرت في أوربا ما بين القرنين 17ـ 18، والتي كانت تهدف إلى تحرير الإنسان والعقل البشري من سلطة الكنيسة وأفكارها اللاعقلانية. وهذا يعني أن علم الاجتماع نشأ بين أحضان الفلسفة التي اعتبرها الغربيون أول صورة للتفكير الإنساني المنظم.

ـ الثورة الفرنسية عام 1789م، والتي جسدت انتصار التفكير العقلاني والقيم العلمانية على النظام الاجتماعي التقليدي القائم على أسس دينية كنسية.

ـ الثورة الصناعية التي انطلقت من بريطانيا ما بين 1760ـ 1840م قبل أن تتوسع وتشمل أوربا كلها.

ـ حالة الفوضى الفكرية التي عرفها المجتمع الفرنسي بالخصوص، والمرتبطة بتوظيف المنهج. ذلك أن أكست كونت رأى أن الباحثين في عصره اختاروا الاعتماد على المنهج العلمي التجريبي في معالجة الظواهر الطبيعية فقط. ولم يسلكوا نفس المنهج في معالجة الظواهر والمشكلات الاجتماعية. فأسس ما سماه بعلم الاجتماع الذي يعتمد على المنهج الوضعي في تفسير الظواهر. وكان أكست كونت يسمي هذا العلم في البداية بالطبيعة

الاجتماعية أو الفيزياء الاجتماعية، ثم سماه فيما بعد بعلم الاجتماع؛ فكان ميلاده سنة 1839م.

وهذا يعني أن علم الاجتماع ظهر كرد فعل لهذه التحولات واستجابة للأزمات والمشكلات الاجتماعية التي كان يمر بها المجتمع الفرنسي خلا فترة الاتنقال من النظام الإقطاعي القديم إلى النظام الرأسمالي الجديد.

وحاول أكست كونت أن يؤسس لهذا العلم بناء على تصور مخالف للتصور الديني السائد؛ فحاول الفصل بين العلم والدين، واعتبر هذا الفصل من مقتضيات تطور العلم، وليس مجرد اجتهاد شخصي أو رأي عقلي.

التأسيس الحقيق لعلم الاجتماع:

أما التأسيس الحقيقي والفعلي لعلم الاجتماع كعلم يهتم بدراسة الفعل الإنساني داخل النسق الاجتماعي؛ فكان على يد العلامة والمفكر والمؤرخ العربي المسلم عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ - 1406م)، فهو أول من نادى بقيام علم جديد يهتم بدراسة قضايا المجتمع، وسماه علم العمران البشري. وشهد بنفسه على سبقه إليه، وأن هذا العلم لم يتكلم فيه أحد من السابقين، فقال: "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص... ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة"، كما دعا ابن خلدون رحمه الله العلماء والباحثين بعده إلى العناية بهذا العلم والعمل على تطويره.

تطور علم الاجتماع أو علم العمران:

شهد هذا العلم في الفترة الممتدة بين القرنين 15 - 19م نوعا من التعثر، ثم رجعت له الحياة فازدهر وتطور على يد رواد علم الاجتماع الغربي مثل: أكست كونت (ت1857م)، وإميل دوركايم، وماكس فيبر، وآخرون.

ففي الربع الأول من القرن 19م سمي بمفهوم جديد هو علم الاجتماع، بدل المفهوم الذي اختاره ابن خلدون. وفي الربع الأخير من هذا القرن عرفا تطورا كبيرا انتهى بتقسيمه إلى عدة فروع وتخصصات، وظهرت معها مجموعة من المدارس والنظريات والمناهج، وكثر عدد رواده والمهتمين به. واستطاع أن يغزو العالم وينتشر في كثير من الدول، وصار يكتسي بذلك صفة العالمية.

ونظرا لتفاعل المسلمين مع غيرهم من دول العالم؛ فقد كان من الطبيعي أن تغزو هذه العلوم العالم الإسلامي، وأن يستفيد منها المسلمون. لكن المثير للانتباه هو أن هذه العلوم انتقلت إلى دول العالم الإسلامي في البداية بمناهجها ونظرياتها الغربية، وكان من الطبيعي أيضا الا تراعي هذه العلوم الدخيلة خصوصيات المجتمع المسلم؛ الدينية والثقافية والحضارية والتاريخية. فصار المجتمع العربي يحاكي النموذج الغربي في مناهجه وطرق تفكيره، ثم تِؤخذ هذه المناهج والأفكار ويتم إسقاطها إسقاطا تعسفيا على المجتمعات العربية والإسلامية. أضف إلى ذلك أن معظم من اشتغل بهذا العلم داخل الوطن العربي في بداية ظهوره كانوا من تلاميذ المفكرين الغربيين الذين تأثر بالفكر الغربي؛ حتى صار الغرب عندهم هو الأنموذج الصالح للاقتداء والمحاكاة في عملية التنمية وبناء الدولة الحديثة.

ويجدر التأكيد في ختام هذا المحور على أن التأسيس الفعلي والحقيقي لعلم الاجتماع كان على يد المفكر والمؤرخ العربي المسلم عبد الرحمان بن خلدون الذي كان يسميه بعلم العمران البشري. أما الاستعمال الأول لكلمة علم الاجتماع؛ فيرجع إلى عالم الاجتماع الفرنسي أكست كونت سنة 1839م. غير أن مشكلة الحياد والموضوعية في البحث، وعداء العقل العربي المسلم؛ دفعت الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى تجاهل فضل ابن خلدون وما أبدعه في مجال العلم ودراسة قضايا المجتمع.